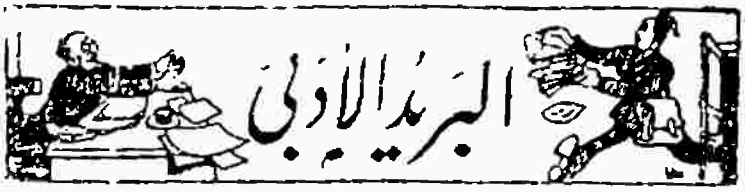

الرعايا هم العبيد :

أصدر الأستاذ خالد محمد خالد كتيبه الثاني (مواطنون لا رعايا) والكتيب — كما يتضح من عنوانه — إحدى صرخات الأستاذ في سبيل تصحيح الأوضاع الاجتماعية في هذا البلد

وكان طبيعيا أن يستقر هذا الكتيب في كل يد ، وأن تلتهم سطوره كل عين ، وكان طبيعيا أيضا أن تلفه أيدي الأفاضل من علماء الأزهر ، ولا عجب ، فالأمر أمس بهم وأدنى إليهم ، فالمؤلف عالم آثر الانطلاق والتجديد ، على التقييد والتقليد ، وأباح لعقله وفكره أن ينطلقا من إسار المتون والشروح ، والهوامش والحواشي ، إلى فضاء المجتمع العريض ، فعينه تقع على كل دقيقة فيه ، يرى بعض الناس كل الناس ، ومن بقي هملا ، قطعانا تسعى إلى ساقط العيش ، وترقل إلى دنيء الرزق ، وما هي بعالقة منه بطفاء ، ولا قريرة به عينا ، بل ساغبة لاغبة ، واجفة خائفة ، لا ترى فيما حولها هدوءاً ولا أمنا ، وأنى لها أن تحسن الظن ؟ أنى ؟ !

وتعرض الأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي في العدد رقم (٩٣٦) من الرسالة الغراء للكتيب — أو بعبارة أدق لعنوانه — بالنقد : وكان كل ما أخذه على الكاتب أنه لم يكن موفقا في اختيار كلمة (رعايا) لأن المعنى الذي سيقت إليه في الكتيب هو الذلة والعبودية ، وهذا خلاف معناها في كتب اللغة والحديث ! والذي وقع فيه حضرة الناقد ، عين ما أراد المؤلف نفسه على أن تتخلص منه ، وتنفر عنه — !

لم يبحث الأستاذ الناقد عن معنى الكلمة في قاموس المجتمع الذي يلفظ أنفاسه ، تحت لذعات السياط ، وركلات الأقدام ، ولا في هذه المرق تشدها إلى بعضها مكبلة تستسلم سريعا لعوامل الفناء ، فوق أجساد عجاف !

ولا بين هذه الأكوام الآدمية التي تحظى دائما بامتهاد الفرش الوثيرة على جوانب الشوارع ، حشوها (الرائط والأسمنت والقار) وتسهد دائما بالتحاف الطبقات الرقيقة الرفيقة من نسائم الليل ، تداعب أوصالا تتداعى في إلحاف إلى الانحلال والفرقة !

لم يبحث الأستاذ الفاضل عن معنى تلك الكلمة بين ذلك

في مكانته ، ولاحق تراثه بعد أن خلا وجه الحياة منه فأحال بينه وبين الحياة . وظل هذا التراث يعاني مرارة الإهمال ؛ وظلم لتشويه هذا الأمد الطويل ؛ فإذا ما رزق — أبو حيان — من نقد آثاره ؛ وبحاسبها من بطش الظلم ؛ وبرأن الموت ، وينفض عنها غبار القبر ، فقد رد للحياة الجانب الخالد من شخصية الرجل العبقري . وكانت يد الدكتور — أحمد أمين بك — في نهوضه بنشر آثاره ، والعناية بإصلاح ما أفسده الدهر من كيانها ، وشوه من معالمها ، حتى شق على النظر إدراكها . وما أشقها من مهمة يدرك ما فيها من صعوبة ، وما تتطلبه من جهد لا يقوى على حمل أعبائه إلا من كان ذا عزيمة لا تنهى ؛ وثقافة أدبية ؛ ولغوية واسعة عميقة . وليس هذا مما يتأتى للكثير . وكتاب — الهوامل والشوامل — أثر من آثار — التوحيدي — الناضجة الحية . هو يدور على كثير من الأفكار التي كانت سدى ولحمة النسيج الفكري والأدبي ، في بيئة — التوحيدي — وعصره . قد أخذ — التوحيدي — يعرض هذه المشاكل الأدبية الفكرية ويجيب عليها — مكوبه — فالكتاب من هذه الناحية مرآة تنعكس أمام أنظارنا التيارات التي كانت تسود هذه البيئة . والكتاب بعد وثيقة تاريخية إذ هو يصور لنا مرحلة من مراحل تفكيرنا الأدبي والعلمي . وهو آية من آيات النثر الفني من حيث الأداء والتصوير . والأستاذ — أحمد أمين بك — حسنة لا تجحد بتهيئة الميدان للأستاذ — السيد صقر — وإفساح الطريق أمامه ليتمكن من أن يستغل مواهبه وثقافته في هذا الميدان الذي شب وترعرع مولعا به ؛ معتزا بالسير فيه . فكنت تراه وهو لا يزال في مطالع بواكير حياته الأدبية يعكف في — دار الكتب — الساعات الطوال بين المخطوطات القديمة يقرأ : وينقل ؛ ويستوعب ؛ وكانت الثمرة الأولى لهذا المجهود — تحقيق — ديوان علقمة الفحل — والأمل وطيد في انتظار الآثار التي يقدمها هذا الجندي في ميدان يشفق الكثيرون من اقتحامه ، وهو ميدان نشر تراثنا نشراً علميا دقيقا

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم في التربية وعلم النفس

كله ، ولكنه آثر أن يبحث عنه فى (القاموس) و (النهاية) و (المصباح المنير) ! وهكذا ظن حضرته أنه قد أمسك بخناق المؤلف ، ووربطه وأحرجه أيما توريط وإحراج ! وهو بعد ذلك وقبل ذلك ينحى على الكاتب باللائمة أن صرف وجهه عن هذا المعنى القاموسى ، فهو لذلك مخطئ ، وخطؤه غير مغتفر ، لأنه عالم باللغة ، عالم بالدين . ولا شك أن الأستاذ الصعيدى لم يدفعه إلى لومه هذا إلا حبه الأزهر وحرصه على سمعته وسمعة علمائه ، خشية أن يتمسك الناس بأخطائهم وهم الذين تفترض فيهم الإمامة

ومع ذلك فالمؤلف غير مخطئ ، وعنوان كتيبه ، عنوان الصواب . هو لم يشأ أن ينطلق إلى كتب اللغة يستوحيها معنى كلمته ، لأنه يعلم أن هذا هو مدخل البلاء على الأزهر . ! فعلماؤه ينفصلون تماما عن الحياة حولهم وما يعتورها من تطور وتغير ، ويؤثرون أن يعيشوا فى جواهم الخاصة .

ولكنه طفق يبحث عن معناها بين الشفاه التى قددها الجوع ، والحلاقيم التى جففها الظمأ ، والضلوع التى أيبستها وطوحت بها أعاصير الداء ، لا مقادير القضاء . . !

طفق يبحث عن معناها بين هذه المواكب الحافلة بالبؤس والمذلة والشقاء ، والتى أطلق عليها سلفا وجهلا أنها رعية ترعى وشعب يساس

أليس فى أن الأولين يختصون بنصيب من حسن التدبير وحسن الإشراف ، وجميل العناية ، وأن الآخرين أقل من أن يقبل عليهم برعاية ، وأدنى من أن ينظر إليهم بإمعان . . ؟

فأين هذا التدبير الحسن ، وتلك العناية الجميلة . . ؟

أهما فى أن تجوع وتعرى أجساد وأكباد ، وأن تلهو وترتع أفراد وآحاد ؟

أهما فى أن تفتات اللايين شر القوت ، وتسام جدب المرعى ، وأن تكتظ معد العشرات بدمائهم وعروقهم ودموعهم . . ؟

أهما فى تلك الجحافل الساعية ليل نهار تسأل وتستجدى . . ؟

أين يا سيدى اللقمة السائغة للمنكوب والمنكود . . ؟

أين الكسوة السابغة للمعروق والمكدود . . ؟

أين الجرعة الصافية للمتعوس والمطرود . . ؟

إن الرعايا فى مصر هم العبيد ، والعبيد فى مصر هم الرعايا ، وأنف كل قاموس راغم . . !

أحمد قاسم أحمد

بينى وبين قرائى

تفضل الزميل الصديق الأستاذ عباس خضر فأشار فى كشكوله منذ قريب ، إلى أن بعض القراء قد سأله عن كاتب هذه السطور وسر انقطاعه عن الكتابة . . ولقد أفصح الزميل الصديق عن سر هذا الانقطاع بما لم يعد الحق والواقع

إننى أكتب هذه الكلمة لأؤكد لحضرات السائلين عنى ممن كتبوا إلى الأستاذ عباس وإلى ، أن ما وقع فى ظنهم حول صلتى بالأستاذ الجليل صاحب الرسالة ، كان أبعد من أن يطيقه منطق الصلات الروحية والودية بين الخلص من الأصدقاء !

لقد انقطعت عن الكتابة لأدفع إلى المطبعة بكتابين ، شغل أولهما وقتى بين تقديم الفصول ومراجعة الأصول ، وشغل الآخر قلمى بين التفكير والتحرير . . وبعد أيام سيكون الكتاب الأول بين أيدى القراء ، أولئك الذين طالما كتبوا إلى راغبين فى إصداره . أما الكتاب الثانى فسيكون بين أيديهم أيضا فى الغد القريب

ولا يسعنى بعد أن عدت بقلمى إلى هذا المكان الحبيب ، إلا أن أبعث بشكرى خالصا إلى كل من كتب إلى من مصر والبلاد العربية ، معبرا عن صادق الود وخالص الوفاء

أنور المعداوى

مستقبل الثقافة فى مصر

قرأت فى العدد ٩٣٦ من « الرسالة » الغراء أنه تألفت فى مصر شعبة قومية برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية لدراسة المسائل المهمة فى ميادين الثقافة والتربية والعلوم ، ودراسة أحوال البلاد فى هذه الميادين وتقديمها إلى الجهات المختصة لتنفيذها أو الاستفادة منها . وإن مجرد التفكير فى مثل هذا الأمر فى الوقت الحاضر ليدل دلالة واضحة على أن معالى الوزير الجليل رأى بفكره الثاقب أن يمهد لمستقبل الثقافة فى مصر طريق الازدهار بتأليف هذه الشعبة للتخلص من أنانية الحياة العقلية فى مصر وجمودها

ولا شك أن هذا رأى سديد ينطوى على إحساس صاحبه العميق بخطورة المجاعة العقلية التى يرزح الشعب تحت أعبائها

دموع صغيرة

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان « رأفت بك » يغادر المحطة واضعا يديه فى جيب معطفه الصوفى الثمين وقد رفع ياقته حتى يلتف حول عنقه ، فقد كان الجو شديد البرودة والريح سريعة الهبوب ... وكان بين ن وآخر يلتفت خلفه ليستعجل الحمال الذى يحمل حقيبته بكلمات مقتضبة. وكان الحمال أو بعبارة أدق الصبى الذى يحمل

ليضة فى النصف الثانى من القرن العشرين . وإنا لنأمل أن وفق الشعبة القومية فى تحقيق الأغراض النبيلة التى تألفت من جلها . وفى الواقع أن الحياة العقلية فى مصر الآن تعانى مشكلة ن أكبر المشاكل ، وهى أنها حياة الخاصة وليس للعامة حياة عقلية بالمعنى الحقيق . ونحن إذا أردنا النهوض بالشعب المصرى وجب أن يصل نور العلم والمعرفة إلى عقول الفلاحين والعمال بل أن يصل نور الكهرباء والماء النظيف إلى أكواخهم وبيوتهم . وإذا أردنا أن يصل نور العلم والمعرفة إلى ملايين العقول المظلمة ، وجب أن نبدأ أولا بإصلاح البيئات العلمية والمناطق التعليمية إصلاحا شاملا يتناول الأشخاص والأدوات والمناهج والأساليب لتؤدى رسالتها على الوجه الأكمل فى قوة وصراحة وإخلاص ، لأن البحث عن أثر هذه البيئات طوال الثلاثين عاما الأخيرة فى حياة الشعب الاجتماعية يثبت أن المجهود الذى بذلته فى ذلك السبيل أفضى إلى نتائج خطيرة مفزعة : إلى الفقر والجهل والمرض ، إلى الضعف والخلف والتخلف ، إلى اللهو واللعب والتحلل ، إلى غير ذلك مما نشكو منه ونتوجع

(سرابيوم) محمد يوسف القرالى

الحقيبة فى الثامنة من عمره ؛ وكان يعدو خلفه بخطوات سريعة وهو يشعر بنشوة تدفئ جسمه وتسعد خواطره . . . فهو يأمل خيرا فى ذلك الأفندى الأنيق . . . سيعطيه ثلاثة قروش من غير شك ؛ فظام الثراء التى تلوح عليه تحمل « حسونة » على أن لا يتنازل عن هذا المبلغ ، وهو مبلغ لا بأس به . سيستطيع أن يشترى « سندوتش » بقرش ويذهب بالباقى إلى السينما . وهكذا يكون مثل محروس الذى لا يفتأ يفخر عليه بأنه يذهب إلى السينما ، ويشاهد (الشجيع) وهو فى إمكانه أن يجمع نقودا كثيرة ويذهب بها إلى السينما كل مساء مثل محروس ، لولا أن بقية الحمالين يسبقونه إلى أمتعة الركاب فهم أقدر منه على السير وسط الزحام ، وهم أبرع منه فى ركوب القطار أثناء سيره فيقومون بتنزيل أمتعة المسافرين ، وبذلك يكون لهم وحدهم حق المساومة فيها . وهكذا يبقى هو تحت رحمة الظروف . وقد أوشك اليوم أن يمضى دون أن يحمل شيئا لأحد من الركاب لولا أن ساقت إليه الأقدار ذلك الأفندى الأنيق الذى ينزل من القطار دون أن يساعده أحد فى إنزال حقيبته . هو الآن سيدمن غير شك ؛ فهى إمكانه شراء « السندوتش » وما دام الوقت عصراً فيمكنه أن يكتفى به عن العشاء ، وفى إمكانه أيضا أن يذهب إلى السينما فيرى « الشجيع » ويتعلم منه كيف يقفز إلى القطار أثناء سيره ، وكيف يشق طريقه وسط الزحام ببراعة وقوة ، بل كيف يتغلب على محروس نفسه حين يساومه على حقيبة أحد المسافرين . أليست هى تلك الأشياء التى تعلمها « محروس » من الشجيع ، والتى يفخر بها دائما على « حسونة » ؟ . .

وكفت طيور أحلامه عن التحليق حين وقف « رأفت بك » أمام محل يبيع لعب الأطفال : فقد نسى لكثرة مشاغله أن يشترى شيئا منها لأبنائه من القاهرة ، وهو لا يستطيع أن يدخل عليهم بدون أن يحمل لهم الفضلة ... ووقف « حسونة » يتأمل اللعب فى سذاجة الأطفال ، ويبدو أنها قد أعجبته إلى حد كبير فقد نسى أن يضع الحقيبة عن كتفه أثناء شراء اللعب !

وسار « رأفت بك » من جديد يتبعه « حسونة » ... ولكن خواطره فى هذه المرة كانت تختلف تماما عن ذى قبل ... إن الطفل الراقد فى أعماقه .. الطفل المستتر خلف هذه الثياب الخلقة